

مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

الأبعاد الاجتماعية والرمزية لحضور المرأة في الفضاء العام بالمدينة الصحراوية: دراسة
ميدانية أنثروبولوجية بمدينة الأغواط

**The Social and Symbolic Dimensions of Women's Presence in Public Space
in the Saharan City:
An Anthropological Field Study in Laghoua.**

الزبير عرارم¹ ، قاسمي شوقي²

¹ جامعة محمد خيضر بسكرة، (الجزائر)، zouber.ararem@univ-biskra.dz ، مخبر
التغير و العلاقات العامة في الجزائر.

² جامعة محمد خيضر بسكرة، (الجزائر)، chaouki.gasmi@univ-biskra.dz .

تاريخ النشر: 2026/09/01

تاريخ القبول: 2026/07/01

تاريخ ارسال المقال: 2025/06/03

* المؤلف المرسل

الملخص:

أحاول من خلال هذه الدراسة تحليل الأبعاد الاجتماعية والرمزية لحضور المرأة داخل الفضاء العام بمدينة الأغواط، باعتبارها نموذجا للمدينة الصحراوية الجزائرية التي تعرف تحولات حضرية واجتماعية متسارعة وتنطلق الدراسة من محاولة فهم طبيعة العلاقة بين المرأة والمجال العمومي في ظل استمرار بعض القيم التقليدية المرتبطة بالمجتمع الصحراوي، مقابل التحولات التي فرضها التعليم والعمل والتوسع العمراني داخل المدينة.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الأنثروبولوجي الوصفي التحليلي من خلال توظيف الملاحظة الميدانية والمقابلات شبه الموجهة مع مجموعة من النساء بمدينة الأغواط، إضافة إلى تحليل طبيعة الفضاءات العامة الأكثر حضوراً في الحياة اليومية.

وتوصلت الدراسة إلى أن حضور المرأة داخل الفضاء العام بمدينة الأغواط يعكس حالة من التفاوض المستمر بين التحولات الاجتماعية الحديثة وبين التمثلات الثقافية التقليدية المرتبطة بالنوع الاجتماعي، حيث أصبح المجال العمومي يعرف حضوراً نسبياً متزايداً مقارنة بالمراحل السابقة، غير أن هذا الحضور ما يزال يخضع لجملة من الضوابط الرمزية والاجتماعية التي تحدد طبيعة التواجد داخل الفضاء الحضري.

الكلمات المفتاحية: الفضاء العام ; المرأة; المدينة الصحراوية; الأنثروبولوجيا الحضرية.

Abstract :

This study seeks to analyze the social and symbolic dimensions of women's presence in public space in the city of Laghouat, considered as a model of the Algerian Saharan city undergoing rapid urban and social transformations. The study is grounded in an attempt to understand the nature of the relationship between women and public space within a social context still marked by traditional values associated with Saharan society, alongside the transformations brought about by education, women's employment, and urban expansion.

The study adopts a descriptive-analytical anthropological approach through the use of field observation and semi-structured interviews conducted with a group of women in the city of Laghouat. It also examines the nature of the public spaces most frequently used in everyday life.

The findings reveal that women's presence in public space in Laghouat reflects a continuous process of negotiation between modern social transformations and traditional cultural representations related to gender. Although public space has witnessed an increasing female presence compared to previous periods, this presence remains shaped by a set of social and symbolic constraints that continue to regulate women's presence within the urban environment.

Keywords: Public Space ;Women; Saharan City; Urban Anthropology.

مقدمة:

شهدت المدن العربية خلال العقود الأخيرة تحولات اجتماعية وثقافية وعمرانية عميقة مست مختلف أنماط الحياة الحضرية والعلاقات الاجتماعية داخل المجال الحضري، حيث لم يعد الفضاء العام مجرد إطار مادي للحركة والتنقل والتفاعل اليومي، بل أصبح فضاءً اجتماعيًا وثقافيًا تقاطع داخله علاقات السلطة والهوية والتمثيلات الاجتماعية وأنماط الضبط الرمزي. وقد أدى هذا التحول إلى اتساع الاهتمام العلمي بدراسة المجال العمومي باعتباره أحد المؤشرات الأساسية لفهم طبيعة التحولات الاجتماعية التي تعرفها المجتمعات المعاصرة، خاصة في ما يتعلق بالعلاقة بين المجال الحضري والنوع الاجتماعي.

وفي هذا السياق برزت دراسات الفضاء العام داخل العلوم الاجتماعية والأنثروبولوجيا الحضرية بوصفها مدخلاً لفهم الكيفية التي تنتج بها الجماعات البشرية المجال الحضري، وتعيد من خلاله تشكيل علاقاتها الاجتماعية والثقافية. فالفضاء العام لا يمثل مجرد تنظيم عمراي أو بنية هندسية للمدينة، وإنما يعكس بصورة مباشرة طبيعة القيم الاجتماعية السائدة داخل المجتمع، كما يكشف عن أنماط التفاعل والهيمنة والضبط الاجتماعي التي تتحكم في استعمال المجال العمومي.

وتكتسي دراسة حضور المرأة داخل الفضاء العام أهمية خاصة داخل المجتمعات العربية، بالنظر إلى الارتباط التاريخي بين المجال العمومي والبنية الثقافية التقليدية التي قامت على نوع من التقسيم الرمزي بين الفضاء الخاص المرتبط بالمرأة والأسرة، والفضاء العام المرتبط بالرجل والحياة الخارجية. وقد ساهمت هذه التصورات في تشكيل طبيعة حضور المرأة داخل المجال الحضري، كما أثرت في التمثيلات الاجتماعية المرتبطة بحركتها واستعمالها للفضاءات العامة.

غير أن التحولات الاجتماعية الحديثة التي عرفت المجتمعات العربية، خاصة ما يتعلق بالتعليم والعمل والتوسع العمراني ووسائل الاتصال الحديثة، أدت إلى إعادة تشكيل العلاقة بين المرأة والفضاء العام، حيث أصبح حضور المرأة داخل المجال العمومي أكثر وضوحاً مقارنة بالمراحل السابقة. ومع ذلك، فإن هذا الحضور لا يتم بمعزل عن البنية الثقافية والاجتماعية للمجتمع، بل يظل مرتبطاً بدرجات متفاوتة بالتمثيلات الاجتماعية والقيم الجماعية التي تحدد طبيعة الحضور المقبول داخل المجال الحضري.

وتعد المدينة الصحراوية من بين المجالات الاجتماعية التي تكشف بصورة واضحة هذا التداخل بين التحولات الحديثة واستمرار بعض الأنساق الثقافية التقليدية، بحكم خصوصيتها الاجتماعية المرتبطة بالمجتمع المحافظ وبطبيعة العلاقات القائمة على الترابط العائلي والرقابة الاجتماعية. فالمدينة الصحراوية لا تمثل فقط مجاًلاً عمرانياً، بل تشكل فضاءً ثقافياً يحمل داخله مجموعة من الرموز والقيم التي تؤثر في تنظيم الحياة اليومية وفي تحديد طبيعة العلاقة بين الأفراد والمجال العمومي.

وفي الجزائر عرفت المدن الصحراوية خلال العقود الأخيرة تحولات عمرانية واجتماعية متسارعة نتيجة التوسع الحضري والنمو الديمغرافي والانفتاح الثقافي، وهو ما أدى إلى تغيرات واضحة في طبيعة الفضاءات العامة وفي أنماط

استعملها من قبل مختلف الفئات الاجتماعية، خاصة النساء. وقد انعكس ذلك على طبيعة حضور المرأة داخل المجال الحضري، حيث أصبحت أكثر حضوراً داخل المؤسسات التعليمية والإدارية والأسواق والمساحات التجارية وفضاءات الترفيه والخدمات.

وتعد مدينة الأغواط نموذجاً لهذه التحولات باعتبارها من المدن الصحراوية الجزائرية التي شهدت تغيراً ملحوظاً في بنيتها العمرانية وفي طبيعة الحياة الاجتماعية داخلها فقد أدى اتساع المجال الحضري وظهور فضاءات عامة جديدة إلى إعادة تشكيل أنماط التفاعل الاجتماعي داخل المدينة، كما ساهم في بروز أشكال جديدة من الحضور النسوي داخل المجال العمومي.

غير أن هذا الحضور لا يمكن فهمه فقط باعتباره نتيجة للتحولات العمرانية والاجتماعية الحديثة، لأن المجال الحضري بمدينة الأغواط ما يزال متأثراً بالبنية الثقافية للمجتمع المحلي، حيث تستمر بعض التمثيلات الاجتماعية المرتبطة بالنوع الاجتماعي في التأثير في طبيعة استعمال الفضاء العام وفي تحديد المجالات المقبولة أو غير المقبولة اجتماعياً لحضور المرأة داخل المدينة.

ومن هذا المنطلق تكتسب دراستنا الأبعاد الاجتماعية والرمزية لحضور المرأة داخل الفضاء العام بمدينة الأغواط أهمية علمية، لأنها تسمح بفهم طبيعة العلاقة القائمة بين التحولات الحضرية الحديثة واستمرار بعض أشكال الضبط الاجتماعي المرتبطة بالمجتمع الصحراوي. كما تتيح هذه الدراسة تحليل الكيفية التي يعاد من خلالها إنتاج المجال العمومي داخل المدينة، والكشف عن التفاعل القائم بين التغير الاجتماعي والتمثيلات الثقافية المرتبطة بالنوع الاجتماعي.

ونسعى في هذه الدراسة انطلاقاً من مقارنة أنثروبولوجية ميدانية، إلى تحليل حضور المرأة داخل الفضاء العام بمدينة الأغواط، والكشف عن الأبعاد الاجتماعية والرمزية المرتبطة بهذا الحضور، من خلال فهم طبيعة الممارسات اليومية داخل المجال الحضري وتحليل التمثيلات الاجتماعية التي تؤطر علاقة المرأة بالفضاء العمومي داخل المدينة الصحراوية.

إشكالية الدراسة

شهدت المجتمعات الحضرية المعاصرة خلال العقود الأخيرة تحولات اجتماعية وثقافية وعمرانية عميقة مست مختلف أنماط الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية داخل المدينة، حيث لم يعد الفضاء العام مجرد إطار جغرافي للحركة والتنقل والتفاعل بين الأفراد، بل أصبح مجالاً اجتماعياً وثقافياً تتقاطع داخله علاقات السلطة والهوية والتمثيلات الاجتماعية وأنماط الضبط الرمزي. وقد أدى هذا التحول إلى بروز اهتمام متزايد داخل الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية بتحليل المجال الحضري باعتباره فضاءً لإنتاج العلاقات الاجتماعية وإعادة تشكيلها، خاصة في ما يتعلق بالعلاقة بين الفضاء العام والنوع الاجتماعي.

فالفضاء العام داخل المدينة الحديثة لا يُفهم فقط من خلال بنيته العمرانية أو وظائفه الاقتصادية، وإنما من خلال الممارسات الاجتماعية والرموز الثقافية التي تنتج داخله بصورة يومية. ولذلك أصبح تحليل المجال العمومي يشكل أحد أهم المداخل لفهم طبيعة التحولات الاجتماعية التي تعرفها المجتمعات المعاصرة، خاصة في ظل التغيرات المرتبطة بالتمدد والعولمة والتحولات الثقافية المتسارعة.

وفي هذا السياق احتلت مسألة حضور المرأة داخل الفضاء العام مكانة مهمة داخل الدراسات الحضرية والجندرية، بالنظر إلى ارتباطها بطبيعة البناء الاجتماعي والثقافي للمجتمع. فالعلاقة بين المرأة والمجال العمومي لم تكن في يوم من الأيام علاقة محايدة أو بسيطة، بل ارتبطت تاريخيًا بجملة من التصورات الاجتماعية المرتبطة بالأدوار الجندرية وبطبيعة العلاقة بين المجال الخاص والمجال العام.

وقد قامت العديد من المجتمعات التقليدية خاصة داخل السياق العربي، على نوع من التقسيم الرمزي للمجال، حيث ارتبط الفضاء الخاص بالحياة الأسرية والمرأة، في حين ارتبط الفضاء العام بالرجل والحياة الخارجية والعمل والنشاط الاجتماعي. وقد ساهم هذا التقسيم في تشكيل التمثيلات الاجتماعية المرتبطة بحضور المرأة داخل المجال العمومي، كما أثر في طبيعة استعمالها للفضاءات الحضرية وحدود حركتها داخل المدينة.

غير أن التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي عرفتها المجتمعات العربية خلال العقود الأخيرة أدت إلى تغير نسبي في طبيعة حضور المرأة داخل المجال الحضري، خاصة مع ارتفاع مستوى التعليم وخروج المرأة إلى العمل واتساع مشاركتها داخل مختلف المجالات الاجتماعية. وقد ساهم ذلك في إعادة تشكيل العلاقة بين المرأة والفضاء العام، حيث أصبح المجال العمومي يعرف حضورًا نسويًا أكثر وضوحًا مقارنة بالمراحل السابقة.

ومع ذلك فإن هذا الحضور لا يتم بمعزل عن البنية الثقافية والاجتماعية للمجتمع، لأن الفضاء العام ما يزال يحمل داخله مجموعة من التمثيلات والقيم المرتبطة بالنوع الاجتماعي وبطبيعة السلوك المقبول داخل المجال الحضري. ولذلك فإن حضور المرأة داخل الفضاء العام يظل مرتبطًا بدرجات متفاوتة بطبيعة المجتمع المحلي وبأنماط الضبط الاجتماعي والرمزي السائدة داخله.

وتعد المدينة الصحراوية من أكثر المجالات الاجتماعية التي تكشف هذا التداخل بين التحولات الحديثة واستمرار بعض الأنساق التقليدية المنظمة للعلاقات الاجتماعية. فالمدينة الصحراوية لا تمثل فقط فضاءً عمرانيًا، بل تعد مجالًا ثقافيًا واجتماعيًا يحمل داخله منظومة من القيم والرموز المرتبطة بالمجتمع المحافظ وبالعلاقات القائمة على الترابط العائلي والرقابة الاجتماعية.

كما أن خصوصية المجتمع الصحراوي تجعل العلاقة بين المرأة والمجال العمومي أكثر تعقيدًا مقارنة ببعض البيئات الحضرية الأخرى، لأن حضور المرأة داخل الفضاء العام غالبًا ما يخضع لجملة من التمثيلات المرتبطة بالشرف الاجتماعي وصورة العائلة وحدود الحركة داخل المجال الحضري.

وفي الجزائر شهدت المدن الصحراوية خلال العقود الأخيرة تحولات حضرية واجتماعية متسارعة نتيجة التوسع العمراني والنمو الديمغرافي والانفتاح الثقافي وتطور أنماط الحياة الحضرية، وهو ما أدى إلى تغيرات واضحة في طبيعة الفضاءات العامة وفي أنماط استعمالها من قبل مختلف الفئات الاجتماعية، خاصة النساء.

وتبرز مدينة الأغواط باعتبارها نموذجاً للمدينة الصحراوية الجزائرية التي عرفت تغيراً ملحوظاً في بنيتها الحضرية وفي طبيعة الحياة الاجتماعية داخلها، حيث أدى اتساع المجال الحضري وظهور فضاءات جديدة مرتبطة بالتجارة والخدمات والترفيه والتعليم إلى تغير نسبي في طبيعة حضور المرأة داخل المجال العمومي.

فقد أصبحت المرأة أكثر حضوراً داخل المؤسسات التعليمية والإدارية والأسواق والمساحات التجارية والحدائق والفضاءات المرتبطة بالخدمات، كما اتسعت مشاركتها داخل الحياة العامة بصورة أكثر وضوحاً مقارنة بالمراحل السابقة. غير أن هذا الحضور ما يزال يتأثر بجملة من التمثيلات الاجتماعية والثقافية المرتبطة بالنوع الاجتماعي وبطبيعة المجتمع المحلي.

ومن خلال الملاحظة الميدانية للحياة اليومية داخل مدينة الأغواط، يظهر أن حضور المرأة داخل الفضاء العام لا يتم بصورة موحدة داخل مختلف المجالات الحضرية، بل يختلف بحسب طبيعة الفضاء وطبيعة النشاط والزمن الذي يتم فيه الحضور. فهناك فضاءات تعرف حضوراً نسوياً واضحاً وأكثر قبولاً اجتماعياً، خاصة الفضاءات المرتبطة بالتعليم والخدمات والأسواق التجارية، في حين ما تزال بعض الفضاءات الأخرى ترتبط بصورة ضمنية بالحضور الذكوري أو تخضع لرقابة اجتماعية أكثر صرامة.

كما أن التحولات الحضرية الحديثة التي عرفتتها المدينة لم تؤد إلى اختفاء التصورات التقليدية المرتبطة بالمجال العمومي بصورة كاملة، بل أفرزت نوعاً من التفاوض المستمر بين التحولات الحديثة واستمرار بعض القيم التقليدية المنظمة للعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الصحراوي. وهو ما يجعل حضور المرأة داخل الفضاء العام ظاهرة اجتماعية وثقافية معقدة تعكس طبيعة التحولات التي يعرفها المجتمع المحلي وحدود التغير الذي عرفته العلاقة بين المرأة والمجال الحضري.

كما نسعى في هذه الدراسة إلى تحليل الكيفية التي يعاد من خلالها تشكيل المجال العمومي داخل المدينة الصحراوية، وفهم طبيعة التمثيلات الاجتماعية المرتبطة بحضور المرأة داخل الفضاء الحضري، انطلاقاً من الممارسة اليومية للفضاء العام وليس فقط من خلال التصورات النظرية المجردة.

وانطلاقاً مما سبق، تتمحور إشكالية الدراسة حول التساؤل الرئيس الآتي:

كيف تتجلى الأبعاد الاجتماعية والرمزية لحضور المرأة داخل الفضاء العام بمدينة الأغواط في ظل التحولات الاجتماعية والحضرية التي يعرفها المجتمع الصحراوي؟

أهداف الدراسة

- ✚ أحاول تحليل طبيعة حضور المرأة داخل الفضاء العام بمدينة الأغواط.
- ✚ أسعى إلى فهم التمثيلات الاجتماعية المرتبطة بحضور المرأة داخل المجال العمومي.
- ✚ أحاول الكشف عن أثر التحولات الاجتماعية والعمرائية في إعادة تشكيل علاقة المرأة بالفضاء العام.
- ✚ أسعى إلى إبراز الأبعاد الاجتماعية والرمزية المرتبطة بالمجال الحضري داخل المدينة الصحراوية.
- ✚ أحاول فهم دور الرقابة الاجتماعية والقيم الثقافية في تحديد طبيعة حضور المرأة داخل الفضاء العام.

مفاهيم الدراسة

1. مفهوم الفضاء العام

أ- التعريف اللغوي

يرتبط مفهوم الفضاء في اللغة العربية بالاتساع والانفتاح، حيث جاء في لسان العرب لابن منظور أن الفضاء يعني "المكان الواسع الممتد الخالي"¹.

ب- التعريف الاصطلاحي

يعرف الفضاء العام اصطلاحاً بأنه المجال الذي يتم داخله التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات داخل الحياة الحضرية، ويشمل مختلف الأماكن المفتوحة والمشاركة مثل الشوارع والساحات والأسواق والحدائق والمؤسسات العامة.

ويرى يورغن هابرماس أن الفضاء العام يمثل مجالاً للتواصل والتفاعل الاجتماعي تتشكل داخله العلاقات الاجتماعية والآراء العامة داخل المجتمع.

كما يعرفه عبد الرحيم العطري بأنه المجال الحضري الذي تتجسد داخله العلاقات الاجتماعية والرموز الثقافية وأنماط التفاعل اليومي داخل المدينة².

ج- التعريف الإجرائي:

أقصد بالفضاء العام في هذه الدراسة مختلف الفضاءات الحضرية المفتوحة بمدينة الأغواط التي تعرف حضوراً وتفاعلاً اجتماعياً يومياً، مثل الأسواق والساحات العامة والحدائق والمساحات التجارية وفضاءات الخدمات والترفيه، والتي تمارس المرأة داخلها أنشطة اجتماعية أو اقتصادية أو ترفيهية مختلفة.

2. مفهوم المرأة:

أ- التعريف اللغوي

جاء في لسان العرب أن المرأة هي مؤنث الرجل، وتطلق على الأنثى البالغة من بني الإنسان³.

ب- التعريف الاصطلاحي

تعرف المرأة اصطلاحًا بأنها فاعل اجتماعي وثقافي يشارك داخل مختلف مجالات الحياة الاجتماعية، وتحدد مكانتها وأدوارها وفق طبيعة البناء الاجتماعي والثقافي للمجتمع.

ويرى عبد الصمد الديلمي أن المرأة داخل المجتمعات العربية تتحدد مكانتها الاجتماعية وفق الأدوار الجندرية والتمثيلات الثقافية المرتبطة بالنوع الاجتماعي⁴.

ج- التعريف الإجرائي

أقصد بالمرأة في هذه الدراسة النساء المتواجدات داخل مدينة الأغواط بمختلف فئاتهن العمرية والاجتماعية، واللاتي يمارسن حضورهن داخل الفضاءات العامة للمدينة سواء لأغراض العمل أو الدراسة أو التسوق أو الترفيه أو قضاء الحاجات اليومية.

3. مفهوم المدينة الصحراوية:

أ- التعريف اللغوي:

المدينة لغة تعني المكان الذي يقيم فيه الناس وتنتظم داخله الحياة الاجتماعية والعمرانية، أما الصحراء فتعني المجال الجغرافي الجاف واسع الامتداد قليل النبات والمياه.

ب- التعريف الاصطلاحي

تعرف المدينة الصحراوية بأنها تجمع حضري يتميز بخصوصيات جغرافية واجتماعية وثقافية مرتبطة بالمجال الصحراوي، وتتشكل داخله أنماط خاصة من العلاقات الاجتماعية والتنظيم العمراني والحياة اليومية.

ويرى جمال حمدان أن المدينة الصحراوية تتميز بخصوصية اجتماعية وثقافية تجعل المجال الحضري متأثراً بطبيعة البيئة الصحراوية وبأنماط العيش التقليدية السائدة داخل المجتمع.⁵

ج- التعريف الإجرائي:

أقصد بالمدينة الصحراوية في هذه الدراسة مدينة الأغواط باعتبارها نموذجاً لمدينة جزائرية تقع ضمن المجال الصحراوي، وتتميز بخصوصيات اجتماعية وثقافية وعمرانية تؤثر في طبيعة العلاقات الاجتماعية وفي أنماط استعمال الفضاء العام.

4. مفهوم الحضور النسوي:

أ- التعريف اللغوي:

يرتبط الحضور في اللغة بمعنى الوجود أو التواجد داخل مكان معين، ويقصد به المشاركة أو الظهور داخل مجال محدد.

ب- التعريف الاصطلاحي

يعرف الحضور النسوي بأنه شكل من أشكال التواجد والمشاركة الاجتماعية للمرأة داخل مختلف المجالات العامة، سواء من خلال العمل أو التعليم أو التفاعل الاجتماعي داخل المجال الحضري.

وترى فاطمة المرنيسي أن حضور المرأة داخل المجال العمومي يمثل انعكاساً لطبيعة التحولات الاجتماعية والثقافية التي يعرفها المجتمع.⁶

ج- التعريف الإجرائي

أقصد بالحضور النسوي في هذه الدراسة أشكال تواجد المرأة داخل الفضاءات العامة بمدينة الأغواط، سواء من خلال الحركة اليومية أو المشاركة الاجتماعية أو ارتياد مختلف المجالات الحضرية داخل المدينة.

الإجراءات المنهجية للدراسة:

1. المنهج المعتمد في الدراسة:

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، باعتباره من أكثر المناهج ملاءمة لدراسة الظواهر الاجتماعية المرتبطة بالحياة اليومية داخل المجال الحضري، خاصة تلك المتعلقة بالعلاقة بين المرأة والفضاء العام داخل المجتمع الصحراوي. ويسمح هذا المنهج بفهم الممارسات الاجتماعية والرموز الثقافية والتمثيلات المرتبطة بحضور المرأة داخل المجال العمومي، من خلال الاقتراب من الواقع الاجتماعي للمبحوثات داخل المدينة.

كما يساعد المنهج الوصفي على دراسة التفاعل بين الأفراد والمجال الحضري، وتحليل الكيفية التي يعاد من خلالها إنتاج الفضاء العام داخل الحياة اليومية. ويرى عبد الله حمودي أن المقاربة الأنثروبولوجية تسمح بفهم الظواهر الاجتماعية انطلاقاً من الممارسة اليومية والرموز الثقافية التي تنتجها الجماعة داخل المجال الاجتماعي^{7.1}

2. عينة الدراسة:

اعتمدت في هذه الدراسة على العينة القصدية، باعتبارها من أكثر العينات ملاءمة للدراسات الكيفية والأنثروبولوجية، حيث تسمح باختيار أفراد العينة وفق علاقتهم المباشرة بموضوع الدراسة. وقد تم اختيار مجموعة من النساء بمدينة الأغواط ممن لهن حضور داخل الفضاء العام، سواء لأغراض العمل أو الدراسة أو التسوق أو ممارسة الأنشطة اليومية المختلفة.

وذلك بهدف الحصول على معطيات متنوعة تسمح بفهم مختلف التمثيلات والتجارب المرتبطة بحضور المرأة داخل الفضاء العام بمدينة الأغواط.

ويرى موريس أنجرس أن العينة القصدية تعتمد على اختيار الحالات الأكثر ارتباطاً بموضوع الدراسة، خاصة في البحوث الكيفية التي تهدف إلى فهم الظواهر الاجتماعية بصورة معمقة^{8.2}.

3. المجال المكاني للدراسة:

أجريت الدراسة الميدانية بمدينة الأغواط باعتبارها نموذجاً للمدينة الصحراوية الجزائرية التي تعرف تحولات عمرانية واجتماعية متسارعة. وقد تم اختيار هذه المدينة بالنظر إلى خصوصيتها الاجتماعية والثقافية، إضافة إلى التغيرات التي عرفت في ما يتعلق بتوسع الفضاءات العامة وتزايد حضور المرأة داخل المجال الحضري.

وشملت الدراسة مجموعة من الفضاءات العامة داخل المدينة، من بينها:

- الأسواق الشعبية.
- الساحات العامة.
- المساحات التجارية.
- الحدائق والمنتزهات.

وقد ساعد تنوع هذه الفضاءات على فهم طبيعة الحضور النسوي داخل المجال العمومي وتحليل التفاوت في طبيعة استعمال المرأة للفضاءات الحضرية المختلفة.

ويرى عبد الرحيم العطري أن دراسة المجال الحضري داخل المدينة العربية تسمح بفهم التحولات الاجتماعية والثقافية المرتبطة بالممارسات اليومية داخل الفضاء العام⁹.

4. المجال الزمني للدراسة

أجريت الدراسة الميدانية خلال الفترة الممتدة بين 2026/01/01 و 2026/03/20، وهي الفترة التي تم خلالها القيام بالملاحظة الميدانية وإجراء المقابلات وجمع المعطيات المتعلقة بموضوع الدراسة.

وقد سمح الامتداد الزمني للدراسة بمتابعة طبيعة حضور المرأة داخل الفضاء العام ورصد بعض الاختلافات المرتبطة بطبيعة الفضاءات والفترات الزمنية داخل الحياة اليومية بمدينة الأغواط.

نتائج الدراسة الميدانية:

سمحت الدراسة الميدانية بالاقتراب من الواقع الاجتماعي لحضور المرأة داخل الفضاء العام بمدينة الأغواط، والكشف عن طبيعة التحولات التي يعرفها المجال الحضري داخل المدينة الصحراوية، خاصة في ما يتعلق بعلاقة المرأة بالمجال العمومي. وقد أظهرت المعطيات الميدانية أن حضور المرأة داخل الفضاء العام لم يعد ظاهرة محدودة أو استثنائية كما كان في المراحل السابقة، بل أصبح جزءاً من الحياة اليومية داخل المدينة، غير أن هذا الحضور ما يزال يرتبط بجملة من التمثلات الاجتماعية والثقافية التي تحدد طبيعته وحدوده داخل المجال الحضري.

1. تزايد الحضور النسوي داخل الفضاء العام:

أظهرت الدراسة الميدانية أن مدينة الأغواط تعرف حضوراً نسوياً متزايداً داخل مختلف الفضاءات العامة، خاصة داخل المؤسسات التعليمية والإدارية والأسواق والمساحات التجارية وفضاءات الخدمات. وقد ارتبط هذا التحول بعدة عوامل اجتماعية وثقافية، من بينها ارتفاع مستوى التعليم، وخروج المرأة إلى العمل، واتساع حاجات الحياة الحضرية الحديثة.

كما كشفت الملاحظة الميدانية أن المرأة أصبحت أكثر حضوراً داخل المجال الحضري مقارنة بالمراحل السابقة، خاصة لدى الفئات الشابة والمتعلمة، حيث أصبح ارتياد الفضاء العام جزءاً من الممارسة اليومية المرتبطة بالدراسة والعمل والتسوق وقضاء مختلف الحاجات الحياتية.

غير أن هذا الحضور لا يتم بالطريقة نفسها داخل مختلف الفضاءات الحضرية، إذ تبين أن بعض المجالات تعرف حضوراً نسوياً واضحاً وأكثر قبولاً اجتماعياً، خاصة الفضاءات المرتبطة بالخدمات والإدارة والتعليم والتجارة،

في حين ما تزال بعض الفضاءات الأخرى تعرف هيمنة ذكورية نسبية، مثل بعض المقاهي أو أماكن التجمعات الرجالية التقليدية.

ويكشف هذا التفاوت في طبيعة الحضور أن المجال الحضري داخل المدينة الصحراوية ما يزال يخضع لتمييز رمزي غير معلن يحدد طبيعة الفضاءات المقبولة اجتماعيًا لحركة المرأة داخل المدينة.

2. استمرار تأثير التمثلات الاجتماعية التقليدية:

رغم التحولات الاجتماعية التي عرفتتها مدينة الأغواط، أظهرت الدراسة أن التمثلات الاجتماعية التقليدية ما تزال تؤثر بصورة واضحة في نظرة المجتمع إلى حضور المرأة داخل الفضاء العام. فقد بينت المقابلات أن حركة المرأة داخل المجال العمومي ما تزال تُقرأ أحياناً انطلاقاً من معايير مرتبطة بصورة العائلة وبالقيم الاجتماعية السائدة داخل المجتمع الصحراوي.

كما تبين أن تقييم حضور المرأة داخل بعض الفضاءات لا يرتبط فقط بطبيعة النشاط الذي تمارسه، بل يتأثر أيضاً بطبيعة الفضاء والزمن الذي يتم فيه الحضور، حيث تزداد حساسية المجتمع تجاه حضور المرأة داخل بعض المجالات أو خلال بعض الفترات الزمنية، خاصة في الفضاءات التي ترتبط تقليدياً بالحضور الذكوري.

وقد كشفت الدراسة أن بعض النساء ما زلن يفضلن تجنب بعض الفضاءات أو بعض أوقات الخروج تفادياً لنظرة المجتمع أو لتجنب أشكال الرقابة الاجتماعية غير المباشرة، وهو ما يعكس استمرار تأثير النسق الثقافي التقليدي داخل الحياة الحضرية للمدينة.

كما تبين أن المجتمع المحلي ما يزال يميز ضمناً بين "الفضاءات المقبولة" و"الفضاءات غير المقبولة" لحضور المرأة، رغم غياب أي منع رسمي أو قانوني، وهو ما يؤكد أن الضبط الاجتماعي داخل المدينة الصحراوية يتم بدرجة كبيرة من خلال الأعراف والتمثلات الجماعية أكثر من القوانين الرسمية.

3. الفضاء العام باعتباره مجالاً للرقابة الاجتماعية:

أظهرت الدراسة الميدانية أن الفضاء العام بمدينة الأغواط يمثل مجالاً لممارسة الرقابة الاجتماعية بأشكالها المختلفة، حيث تستمر الجماعة المحلية في مراقبة السلوك داخل المجال العمومي من خلال النظرات والتعليقات والأحكام الاجتماعية المرتبطة بطريقة اللباس أو الحركة أو طبيعة الحضور داخل بعض الفضاءات.

وقد تبين من خلال المقابلات أن النساء يشعن بدرجات متفاوتة بوجود نوع من الرقابة الاجتماعية المرتبطة بحركتهن داخل المدينة، خاصة داخل الفضاءات التي يغلب عليها الحضور الذكوري. كما أشارت بعض المبحوثات إلى أن تقييم المجتمع لحضور المرأة لا يرتبط فقط بالفعل نفسه، بل يتأثر أيضاً بالعمر والوضعية الاجتماعية وطبيعة الفضاء الذي تتواجد داخله المرأة.

كما أظهرت الدراسة أن الرقابة الاجتماعية داخل المدينة الصحراوية لا تمارس دائماً بصورة مباشرة، بل تتخذ في كثير من الأحيان طابعاً رمزياً يتمثل في الخوف من نظرة المجتمع أو من تداول الأحكام الاجتماعية داخل المحيط العائلي والاجتماعي.

ويكشف ذلك أن الفضاء العام داخل مدينة الأغواط لا يمثل فقط مجاًلاً للحركة والتفاعل الاجتماعي، وإنما يعد أيضاً مجاًلاً لإعادة إنتاج القيم الاجتماعية والتمثيلات المرتبطة بالنوع الاجتماعي داخل المجتمع المحلي.

4. تأثير التحولات العمرانية الحديثة في إعادة تشكيل المجال العمومي:

كشفت الدراسة الميدانية أن التحولات العمرانية التي عرفتها مدينة الأغواط ساهمت بصورة واضحة في إعادة تشكيل طبيعة الفضاء العام داخل المدينة. فقد أدى ظهور أحياء جديدة ومساحات تجارية حديثة وحدائق ومراكز خدمات إلى توسيع المجالات التي تعرف حضوراً نسوياً داخل المدينة.

كما تبين أن الفضاءات الحديثة، خاصة المراكز التجارية والمساحات الاستهلاكية الجديدة، أصبحت تعرف حضوراً نسوياً أكبر مقارنة ببعض الفضاءات التقليدية، لأنها تمنح المرأة نوعاً من الشعور بالقبول الاجتماعي والأمان النسبي داخل المجال العمومي.

وقد ساهمت هذه الفضاءات في خلق أنماط جديدة من الحضور داخل المدينة، حيث أصبح المجال الحضري أكثر تنوعاً من حيث الفاعلين الاجتماعيين وأنماط التفاعل اليومي.

غير أن الدراسة أظهرت أيضاً أن التحولات العمرانية لم تؤد إلى اختفاء التمثيلات التقليدية المرتبطة بالمجال العمومي بصورة كاملة، بل أفرزت نوعاً من التعايش بين القيم التقليدية ومظاهر الحياة الحضرية الحديثة داخل المدينة الصحراوية.

5. الحضور النسوي بوصفه مؤشراً للتحول الاجتماعي:

أظهرت الدراسة أن حضور المرأة داخل الفضاء العام بمدينة الأغواط يعكس بصورة واضحة طبيعة التحولات الاجتماعية التي يعرفها المجتمع المحلي. فخروج المرأة إلى التعليم والعمل والمشاركة داخل الحياة العامة أدى إلى إعادة تشكيل علاقتها بالمجال الحضري، كما ساهم في توسيع حضورها داخل الفضاء العمومي.

غير أن هذا التحول لا يعني القطيعة الكاملة مع البنية التقليدية للمجتمع الصحراوي، لأن الدراسة بينت أن التحولات الحديثة ما تزال تصطدم أحياناً ببعض التمثيلات الاجتماعية المحافظة المرتبطة بالنوع الاجتماعي وبصورة المرأة داخل المجتمع المحلي.

كما كشفت الدراسة أن المرأة داخل مدينة الأغواط أصبحت تمارس نوعاً من التفاوض اليومي داخل المجال الحضري، حيث تحاول التوفيق بين متطلبات الحياة الحديثة وبين حدود القبول الاجتماعي المرتبطة بالمجتمع المحلي.

يتضح أن حضور المرأة داخل الفضاء العام بمدينة الأغواط يمثل ظاهرة اجتماعية وثقافية تعكس طبيعة التحولات التي يعرفها المجتمع الصحراوي الجزائري، كما يكشف عن التفاعل المستمر بين التغير الاجتماعي واستمرار بعض الأنساق التقليدية المنظمة للعلاقات داخل المجال الحضري.

خاتمة:

تكشف دراستنا عن الأبعاد الاجتماعية والرمزية لحضور المرأة داخل الفضاء العام بمدينة الأغواط أن المجال الحضري داخل المدينة الصحراوية لم يعد مجرد فضاء مادي للحركة والتنقل، بل أصبح مجالاً اجتماعياً وثقافياً تتجسد داخله التحولات التي يعرفها المجتمع المحلي، خاصة في ما يتعلق بالعلاقة بين المرأة والمجال العمومي. فالفضاء العام يعكس بصورة واضحة طبيعة التفاعل بين التحولات الاجتماعية الحديثة واستمرار بعض الأنساق الثقافية التقليدية المنظمة للعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الصحراوي.

وقد بينت الدراسة الميدانية أن حضور المرأة داخل الفضاء العام بمدينة الأغواط أصبح أكثر وضوحاً مقارنة بالمراحل السابقة، نتيجة مجموعة من التحولات المرتبطة بالتعليم والعمل والتوسع العمراني وتغير أنماط الحياة الحضرية. فقد أصبحت المرأة حاضرة داخل مختلف الفضاءات العامة، خاصة المؤسسات التعليمية والإدارية والأسواق والمساحات التجارية وفضاءات الخدمات والترفيه، وهو ما يعكس تغيراً نسبياً في طبيعة علاقتها بالمجال الحضري.

غير أن هذا الحضور لا يتم بمعزل عن البنية الثقافية للمجتمع المحلي، إذ أظهرت الدراسة استمرار تأثير بعض التمثيلات الاجتماعية المرتبطة بالنوع الاجتماعي وبصورة المرأة داخل المجتمع الصحراوي. فما تزال بعض الفضاءات تخضع لتمييز رمزي غير معلن يحدد طبيعة الحضور المقبول داخل المجال العمومي، كما تستمر الرقابة الاجتماعية في التأثير في حركة المرأة داخل المدينة وفي طبيعة استعمالها لبعض الفضاءات العامة.

كما كشفت الدراسة أن التحولات العمرانية الحديثة التي عرفتتها مدينة الأغواط ساهمت في إعادة تشكيل المجال الحضري وفي توسيع حضور المرأة داخل بعض الفضاءات الجديدة المرتبطة بالاستهلاك والخدمات والترفيه، غير أن هذه التحولات لم تؤد إلى اختفاء القيم التقليدية بصورة كاملة، بل أفرزت نوعاً من التعايش بين مظاهر الحداثة واستمرار بعض الأنساق الثقافية المحافظة داخل الحياة اليومية للمدينة.

ومن جهة أخرى أوضحت الدراسة أن حضور المرأة داخل الفضاء العام لا يمثل مجرد انتقال من المجال الخاص إلى المجال العمومي، وإنما يعكس تحولات أعمق تمس طبيعة العلاقات الاجتماعية والتمثيلات الثقافية داخل المجتمع المحلي فالمرأة داخل المدينة الصحراوية أصبحت تمارس نوعاً من التفاوض المستمر بين متطلبات الحياة الحضرية الحديثة وبين حدود القبول الاجتماعي المرتبطة بالقيم السائدة داخل المجتمع.

كما بينت الدراسة أن الفضاء العام بمدينة الأغواط يمثل مجالاً لإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية والرموز الثقافية المرتبطة بالهوية المحلية، وهو ما يجعل دراسة حضور المرأة داخله مدخلاً لفهم طبيعة التحولات التي يعرفها المجتمع الصحراوي الجزائري في المرحلة المعاصرة.

قائمة المراجع:

- 1 ابن منظور، لسان العرب، ج15، بيروت: دار صادر، 2003، ص189.
- 2 عبد الرحيم العطري، سوسيولوجيا المدينة العربية، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017، ص91.
- 3 ابن منظور، لسان العرب، ج4، بيروت: دار صادر، 2003، ص321.
- 4 عبد الصمد الديالمي، سوسيولوجيا الجنسانية العربية، بيروت: دار الطليعة، 2009، ص56.
- 5 جمال حمدان، شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان، القاهرة: عالم الكتب، 1995، ص273.
- 6 فاطمة المرينسي، ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية، بيروت: دار الحقيقة، 1987، ص118.
- 7 عبد الله حمودي، الشيخ والمريد: النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 2010، ص43.
- 8 موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، الجزائر: دار القصبة للنشر، 2006، ص298.
- 9 عبد الرحيم العطري، سوسيولوجيا المدينة العربية، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017، ص88.